المحاضرة السادسة: مصطلح العاطفة

تعريفها

لغة: ورد في لسان العرب: تعطَّف عليه: وصله وبرّه، وتعطَّف عللى رحِمِهِ: رقّ لها. والعاطفة الرّحِم.[1].

اصطلاحا: ورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب:

"هي الحالة الوجدانية التي تتميز بالاستقرار والدوام وبعدم العنف والثورة اللذين يميزانها عن الانفعال. ويترتب على وجود هذه الحال الميل إلى الشيء أو الانصراف عنه"[2].

وجاء في المعجم المفصل في الأدب لجبور عبد النور:

العاطفة: "حالة شعورية تندفع من النفس البشرية إثر انفعالها بحدث تراه أو تسمعه، أو بمشهد يؤثر فيه. وهي تقابل العقل ولا توافقه؛ فما يراه العقل غير ما تهواه العاطفة. والعاطفة مرتبطة بالشعور الإنساني ولا تنفصل عنه، مهما كان الإنسان عنيدا في إظهار مشاعره"[3].

وهي في الأدبِ شديدة الارتباط؛ فالشاعر لا يَصدرَ شعرَه إلا بدافعٍ من عاطفته، والأديبُ لا يكتبُ من عدمٍ. وآفاقُ العاطفةِ في الأدب رَحْبةٌ، فهناك عاطفةٌ وجدانيَّةٌ، وعاطفةٌ قومية، وعاطفة وطنية، وعاطفة إنسانية. حتى ما يكتبُهُ الكاتبُ وينظمُه الشاعرُ من غير دوافعَ شعوريةٍ إنَّما يكتبُه بعاطفةٍ فنية. فلا يُستغنى عن العاطفة في الأدب، بل هي أصلُ الإبداعِ، والبراعةِ، والجودةِ. والنصُّ بلا عاطفة لا يلمِسُ مشاعرَ المستمعين والمطالِعين. كما أن المغالاةَ في العاطفة لا يُعدُّ من العاطفة بل يعدُّ من التَّصَنُّعِ.

مصطلح العاطفة في النقد القديم

عبّر القدماء عن مدلول لفظة (العاطفة) بعبارة (قواعد الشعر) جاء في كتاب العمدة لابن رشيق: في باب قواعد الشعر "وقالوا قواعد الشعر أربع: الرغبة والرهبة والطرب

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب، مادة (عطف).

[2] – مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،

[3] – جبور عبد النور: المعجم المفصل في الأدب،

والغضب: فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع"[1].

وجاء في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة : "قال عبد الملك بن مروان لأرطأة بن سُهية: أتقول الشعر اليوم؟ فقال: والله ما أطرب ولا أغضب ولا أشرب ولا أرغب وإنما يجيء الشعر عن إحداهن"[2].

وقيل للشنفرى حين أُسِرَ: أَنْشِدْ، فقال: الإنشاد على حين المسرّة"[3].

إذن فقد جعل الشاعر هذه العواطف الأربع الينابيع التي يتفجر منها الشعر، وهي دواعي الشعر التي قال ابن قتيبة فيها: "وللشعر دواع تحث البطيء، وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب"[4].

وكان الشعر يستعصي على من لم تهج عاطفته في ناحية من نواحيها، قال ابن قتيبة: "وللشعر تارات (أوقات) يبعد فيها قريبه ويستصعِبُ فيها ريِّضه"[5].

وهذا الفرزدق – وهو شاعر كبير– كان يقول: "أنا أشعر تميم عند تميم وربما أتت علي ساعة ونزع ضِرس علي من قول بيت"[6].

ولابن قتيبة رأي في أوقات الشاعرية لدى الشعراء:

"وللشعر أوقات يُسرع فيها أتيه، ويسمح فيها أبيه. منها أول الليل قبل تغشّي الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغذاء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبيس والمسير".[7]

وقد ربط النقاد القدامى بين هذه النوازع والأغراض الشعرية فقال دعبل الخزاعي: "من أراد المديح فبالرغبة، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء، ومن أراد التشبيب فبالتشوق والعشق، ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء"[8].

---

[1]– ابن رشيق: العمدة، ج1، ص120.

[2]– ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ج1، ، ص 80، وينظر: العمدة،

[3]– نفسه،

[4]– نفسه، ج1،

[5]– المصدر نفسه،

[6]– ابن قتيبة: الشعر والشعراء،

[7]– نفسه،

[8]– البديع في نقد الشعر. نقلا عن محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي،